Abdullah Al.faraj "His life and Peotry"

Assist. Prof. Dr. Jassim Gali Rumi Al. Maliki
Linguistics Studies Department
Basra and Arab Gulf Studies Center
The University of Basrah

Abstract:

The poet Abdullah Al-Faraj distinguished as one of the Kuwaiti poets who are founders of the traditional poetic movement which is led by Tabatabai that aimed to develop this poetry. This movement, also, attempted to get rid from the old tendency which was adopted by old poets and get poetry out of the typical and old monasticism such as from introductions and stand on the Balinese monuments in topics such as love poetry, lamentations and praise.

This paper studied the causes of his tendency to write a Nabataean poetry.

And his fondness in Nabataean poetry comparing to the traditional poetry and the main causes for his fondness which might be religious or humanitarian from his daily life especially since his life has passed two periods. The period of luxury, opulence life. The second period of asceticism and poverty and renounce life with all its worldly matters.

الشاعر الكويتي عبدالله الفرج حياته وشعره

أ.م. د. جاسم غالي رومي المالكي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

يتميز الشاعر عبدالله الفرج بأنه من شعراء الكويت المؤسسين لحركة الشعر التقليدي التي يتزعمها الطباطبائي، تهدف لتطوير هذا الشعر وتخليصه من النزعة القديمة التي كان يعتمدها الشعراء القدامى والخروج به عن النمطية والرتابة القديمة من مقدمات طللية والوقوف على الآثار البالية في موضوعات كالغزل والرثاء والمديح ودراسة أسباب جنوحة لكتابة الشعر النبطي وولعه به مقارنة بشعره التقليدي والاسباب المؤدية لذلك التي منها قد تكون دينية أو إنسانية في حياته اليومية، خصوصاً وان حياته قد مرتْ بفترتين، فترة الترف والبذخ والحياة المترفة، والثانية فترة الزهد والفقر ونبذ الحياة بكل أمورها الدنيوية.

المقدمة:

يعدُّ الشاعر عبد الله الفرج أحد أقطاب حركة الشعر التقليدي في الكويت، فقد استطاع بحسه الفطري وثقافته المتنوعة أن يسير بهذه الحركة خطوة مهمة إلى الأمام أنتجت ثمارها الطيبة بحصيلة كبيرة وضخمة من الشعر الكويتي تنوعت في موضوعاتها في مجال الإنسانية والوطنية والسياسية. وبهذا لابد من دراسة عوامل هذا التنوع في شعره والظروف التي مرتْ بها حياته الشخصية وتطور قريحته الشعرية التي أنتجت لنا نوعين من الشعر هما الشعر النبطي والشعر التقليدي الذي يعتمد على منهج الشعر القديم بكل تفاصيله مع تطور مفرداته

لقد انقسمت حياته على قسمين القسم الأول في الهند وبخاصة في مدينة بمباي حيث كان والده يعيش هناك وترك له ثروة طائلة عاش فيها حياة الترف والبذخ إلى أن فقدها وأصبح فقيراً حيث درس الموسيقى ونظم الألحان مازجاً بين الموسيقى الهندية والعربية وأما القسم الثاني من حياته فإنه قضاها في بلده الأصلي الكويت بعد فقده ثروته بالكامل حيث أصبح فقيراً معدماً زاهداً في الحياة وهي الفترة العصية من حياته فقد مال فيها إلى نظم الشعر النبطي الذي كون العامل الأساسي في مسيرته الشعرية فضلاً عن نظمه في الشعر التقليدي معتمداً على موضوعاته التي منها الغزل الرثاء والمديح ألاّ أنه كان مقلاً فيها وعلى العكس في شعره النبطي الذي أبدع فيه أبداعاً جميلاً خلف قصائد هائلة كانت موضع استحسان النقاد ومتذوقي هذا النوع من الشعر .

ومن هنا انقسمت مادة البحث إلى مقدمة وعنوانين العنوان الأول (الحياة الاجتماعية والثقافية للشاعر عبد الله الفرج) درسنا فيه حياته الثقافية والاجتماعية ومعيشته في الهند وأسباب فقده لثروته، أما العنوان الثاني (موضوعات شعره) التي منها شعره النبطي وسموه فيه، وموضوعات شعره التقليدي التي منها الغزل والرثاء والمديح وعوامل قلتها لديه مقارنة بشعره النبطي وكان منهجنا تحليلياً وتطبيقياً على قصائد شعره ومن الله التوفيق.

- **العنوان الأول : الحياة الاجتماعية والثقافية لعبد الله الفرج :-**

تُعدُّ حركة الشعر التقليدي من الحركات المهمة في الشعر الكويتي المعاصر لما لها من أسلوب متقن في تطوير الشعر الكويتي، ولكن حسب النمطية القديمة وبأسلوب حضاري يعتمد عامل التحضر الجديد وبمفردات جديدة تجعل من القصيدة حلة متكاملة من حيث التنوع المعنوي ولكن بأسلوب يبعد المتلقي عن السأم والتململ من قراءتها. وقد تحمل هذه القصائد موضوعات مختلفة، سياسية ووطنية وإنسانية وكلا حسب فترة نظمها .

لذا يُعدُّ الشاعر عبد الله الفرج أحد أقطاب هذا التيار التقليدي ومن الممهدين لهُ على صعيد الكويت ساعده في ذلك استعداده الفطري وثقافته المتنوعة واستطاع أن يدفع بهذه الحركة خطوات للأمام بحيث كانت أهم تراث ضخم من نصوص الشعر الكويتي المعاصر، ومن الغرابة بما كان أن نرى المصادر تكاد تكون قليلة عن حياته الاجتماعية والأدبية مقارنة مع مكانته الواسعة وشهرته في الكويت والهند [١]. ولكننا عند تفحصنا لمقدمة ديوان عبد الله الفرج التي كتبها خالد الفرج والتي تخص ديوانه في الشعر النبطي نجدها تكون هي الورقة أو العامل الكبير والمساعدة على معرفة حياة عبد الله الفرج الاجتماعية والأدبية في بلادي الهند والكويت، وقد عرضتْ كذلك لمجموعة من الأمور التي تخص شعره التقليدي والنبطي في بلده الكويت ومنطقة الخليج العربي برمتها [٢].

وقد ذكر الشاعر خالد الفرج في مقدمة ديوان الشاعر عبد الله الفرج أنّه ولد في الكويت سنة (١٢٥٢هـ) على الأغلب، ولذا فإن ديوانه قد نشر في بمباي عام (١٣٣٨هـ) أي ما يعادل (١٩١٩م). وقد انقسمت حياته على مدتين، مدة قضاها في الهند وبمدينة بمباي، والثانية في الكويت بعد رجوعه إليها أي بعد وفاة والده هناك[٣].

وبعد وفاة والده في الهند ورثَّ ثروةَ كبيرة عنهُ والذي كان مستقراً فيها حيثُ كان تاجراً كبيراً لذا أخذ عبد الله الفرج في الإسراف والصرف والبذخ إلى أن فقدها نتيجة لهذه الأمور مجتمعة ثّم عَّاد للكويت نتيجة لذلك وما عاناه من فقر وعوز مما أثرت على سلوكه الاجتماعي حيث أصابه الحزن والندم والزهد وقد ظهر ذلك كلّه في معظم أشعاره التي كانت

تحمل النغم الحزين وطابع الفقر والذل. وبخاصة في شعره النبطي حيث كان المتنفس المهم لما يعانيه من ألم وفقر[٤] ومن هنا نجد أنه تأثر بالموسيقى وخاصة الموسيقى الهندية التي تعلمها على يد أساتذة متخصصين بهذا النوع من الموسيقى ولشغفه بها أثر على موقف علماء الدين من عقيدته الدينية، فقد شككوا في صحة دينه، مما كان لهُ الأثر في شعره النبطي الذي ذهب فيه لمهاجمة رجال الدين ودفاعه عن معتقده الديني وقد عثَّر على مجموعة من كتبه مكتوبة بالنوتة الموسيقية و عليها مجموعة من الكتابات بخط يده مما يجعله مثار تصديق على أنه متأثر بالموسيقى ونغمها[٥].

وقد كان الغناء عند سواحل دول الخليج متأثراً بالألحان اليمنية وخصوصاً بغناء مدينة عدن وبالأنغام السودانية والأفريقية ، فاستطاع أن يمزجها بالأنغام الهندية، فلحن ألحان الخليج العربي التي لا تزال تردد في محطات الإذاعة في دول الخليج فأخذ يلحن بعض القصائد الطويلة من ذلك قصيدة (البهاء زهير)، (ملك الغرام عنانيه) وما شابه ذلك من القصائد الطوال وكذلك دربته وولوعه بالرسم والتصوير، مما جعله يمتلك خيالاً واسعاً وخزيناً شعرياً واسعاً بمعانيه وموسيقاه وصفه في أغلب قصائده النبطية التقليدية، مما جعلت منه شاعراً متميزاً في الأسلوب والأداء . [٦]

أما مصادر ثقافته العربية ونمو شخصيته الأدبية فقد جاءت عن طريقة بعض المعلمين الخصوصيين في اللغة العربية وأدبها في الهند فقد استطاع والده أن يوفر لهُ من يعلمه ويتعلم اللغة العربية وقواعدها والقراءة والكتابة بصورة أخص، فضلاً عن حصوله على معارف كبيرة في الدراسات العربية عن طريقة قراءته الواسعة لمصادر اللغة العربية وأدبها وخصوصاً القديمة واتصاله كذلك بأستاذه الطباطبائي الذي أخذ على عاتقه نشر المعارف الدينية والأدبية في الكويت نفسها والتي أستقر فيها عبد الله الفرج فيما بعد. لذا من البديهي أن تؤثر فيه هذه المصادر وكذلك ثقافة الطباطبائي الدينية والأدبية في شعره التقليدي والنبطي[٧].

ومن الواضح أن هذين الرافدين كان لهما ألأثر الواضح في بلوغ الذاكرة الشعرية عند الشاعر عبد الله الفرج ورصانة شعره التقليدي والنبطي بصورة خاصة. وثقافته الأدبية وعلى

الرغم من قلة شعره إلاَّ أنه كانت لديه مكانة أدبية وثقافية واجتماعية كبيرة دلتْ عليها معظم قصائد ديوانه على الرغم من الظروف التي مرتْ بها حياته إلا أننا لا نعرف المناسبات التي قيلت فيها، ولكننا نرجح أن تكون هذه القصائد قد نظمها بعد رجوعه للكويت بعدما فقد ثروته في الهند وحالة الفقر والجوع والحرمان التي عاشها بعد تلك الفترة(٨).

وحينما نقرأ شعره بعد عودته الى الكويت نجد أنه يحمل نغمة حزينة تنبعث منه ألامهُ بعد فقد أموال أبية وتبِذيرها وميله للزهد والتعفف نتيجة ما مرَّ به من فقر شديد وحاجة، مما يثير لدينا استغراباً أن قصائد ديوانه قَدْ خلت من ذكر لفترة حياته المترفة واللهو والطرب في الهند. مما جعله يركز على حياة الآخرة ونبذه للمال واحتقاره لهُ(٩).

وهذه الأمور مجتمعة ترسخ لدينا حقيقة إن الشاعر كان يعاني من فقدان ماضيه الذي حفل بسنين جميلة وهي سنين اللهو والطرب وحب الشهوات لديه، وبين ليلة وضحاها تجرد من ذلك العزِّ والدلال وكأنه لم يمتلك شيئاً من هذا الجاه والثراء الكبيرين . متحولاً إلى رجلٌ فقير وبائس لا يستطيع أن يحصل على أبسط مقومات الحياة الرغيدة،إذْ يقول في إحدى قصائد ديوانه متمثلاً لهذه الحياة قائلاً :(١٠)

أرى كل ما فيـــها مصيره إلى الفنا ... وأرى كل شئ ما ســـوى الله زايـلُ
بها كم كـــــريم زال منـــها ولا بقـى ... وكـم باقي هي في زوالـــــه تهايلُ
على بخت ذا الدنيا سريع إذا أدبرت ... فالأطـــام تدعيها ســـواه التمـــايلُ
وصـــور ما تـــوفى بها المرء حقه ... وينـــزاح معـــطي زهلته بالزهايـــلُ
عفـــا الله عما فات بالأمر وانقضـى ... وما فات عـــنه اليوم ما أحد بسايلُ
أرى به نجـــوم الافق في قبه السما ... كما اللؤلـــؤ المـــنثور وبهن نقابلُ
على حرفٍ عـزم كل يوم من المنـى ... أصيب الغرض عن قوسها بالذمايلُ

يؤكد الشاعر هنا حقيقة لا تقبل الشك أنه نادم على ماضيه وذكرياته الجميلة التي حفلتْ بها سنين عمره حينما كان مترفاً يعيش حياة اللهو والطرب بكل معانيها الجميلة ولا تعكر صفو حياته أية شائبه وأنها مليئة بالجد واصفاً ذلك بقوله: (١١).

فلا ناشد لا عن أهل البيع والشرا ولا عن البضعات وأهل الحوايل
نديمى كتابي طول يومي بمجلس وبالليل ربـــات إليها والبسـايل

فهو يصف لنا جدهُ وصفو حياته بقراءته الكتاب الذي يعدُّ زاده الأدبي والثقافي، فهو كثير القراءة والتمعن في ثنايا سطوره، وفي الجانب الأخر من البيت يصف المرأة وجمالها وعلاقته بها ومواقفه تجاهها فهي معادلة متوازنة الأطراف من حيث القراءة والجد ووصف المرأة في الجانب المقابل لذلك. معتمداً بعض الألفاظ الموجبة لذلك.

ونلاحظ في معظم قصائد ديوانه إلحاحاً غريباً على ذكر الماضي الجميل والسنين التي عاشها في الهند عندما كانت لديه الثروة الطائلة، فإنه تنتابه الحسرة بين الحين والآخر عليه . ألا أنه يرجع بعد فترة ويتمنى أن يتخلص من هذا الماضي الذي سبب له الفقر والعوز، مقارناً نفسه بالمتنبي بعد خروجه من كنف سيف الدولة الحمداني وذهاب لكافور في مصر مصوراً ذلك المشهد عندما يمدح كافوراً محاولاً نسيان ما هوّ به من تجربة في كتف سيف الدولة والتخلص من تلك الذكريات إذ يقول عبد الله الفرج متمثلاً لذلك [١٢].

وأعلم أن البين يشكيك بعده فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غدر بربها إذا كنْ إثر الغـادرين جواريا

يبدو واضحاً للعيان أن الشاعر بعد فقده ثروته، قد فقد الكثير من الأمور، منها تخلي أصدقاءهُ عن معونته مادياً ومعنوياً مما أثر تأثيراً سلبياً على حياته الخاصة والعامة. وتولدت لديه حالة من الريبة في كرهه للصداقة، بحيث كان يشبه الصداقة والأصدقاء بالعنقاء والغول وهما حيوانان خرافيان إذا صح التعبير، وكأنه يفقد الثقة بهاذين الخرافيين، إذ يقول:[١٣]

وتالله ما تلقى من الألف واحـــد ما عنـــــده ترجى لديه الطوايل
وأرى ألخل كالعنقا يذكر ولا يرى عديم ومثل الغول ما شيف زايل

ومنه في مقطوعة أخرى من قصائد الديوان إذْ يقول واصفاً ذلك الشيء :- [١٤]

لكن على ما قيل في ضرب الأمثال بالألـــف تلقى واحد بالجماعه
وأصـــحابك اللي قلت يا خيبة الفال منهم فهم لك دوم عدوان قاعه

وتلك هي معاناة الشاعر ونظراته المتشائمة للحياة ناتجة من معاناته النفسية والاجتماعية التي لم تنقطع محاولاته في نسيانها، وقد أسس لمعظمها في مقدمات أغلب قصائده . ومن البديهي بما كان أن تأخذ من مقدمة هذه القصيدة صورة لجميع قصائده التي كتبها تعبيراً عن حسه الداخلي وشعوره بالحرمان والفقر وفقدان الجاه والمال والثروة الطائلة وكأنه لم يملك شيئا. حيث يبدأ معظم قصائده بالتحسر على ذلك الماضي الجميل. والتأكيد على الحرص على الصداقة رقم ابتعاد الأصدقاء المقربين عنه.

وان سؤال يطرح نفسه ما هي الصورة التي تستقر في خلدنا عن عبدا لله الفرج هذا الشاعر الذي عاش مرحلتين مهمتين في حياته مرحلة الهند ومرحلة رجوعه لبلده الأم الكويت إلى نهاية حياته. حيث كانت المرحلة الأولى مرحلة اللهو حينما كانت لديه الثروة والثانية وهي مرحلة رجوعه للكويت وعيشه حياة اليأس والشقاء حيث أجتمع بعض الأشخاص المربين لوجود ثروته ولكنْ بعد ذلك انصرفوا عنه وعدم الوفاء لهُ[١٥]

ولكن هذه الصورة لم تنقطع في معظم أشعاره ولكنهاً ظلت باقية وبخاصة في شعره التقليدي الذي سيكون محور دراستنا في القسم الثاني من هذا البحث والذي غيرَّ الشاعر فيه عن إحساسه وذاته ووجدانه ولكن ليستْ بالصورة الكبيرة التي كان يعني فيها بالأمور الإنسانية والاجتماعية له بحثاً عن التواصل الأخلاقي والاجتماعي في هذه الفترة .

العنوان الثاني: موضوعات شعره:

١- شعره النبطي:-

كان الشاعر عبد الله الفرج من أهم الشعراء الكويتيين البارزين في موضوع الشعر النبطي، الذي يُعَّد من أهم السمات المميزة للشعر الخليجي المعاصر. حيثَ أن قصيدة الشعر النبطي لا تختلف من حيث المضمون عن القصيدة التقليدية القديمة في الموضوع والمقدمة التي تفتتح بها ، فأنها قد تكون قصيدة غزلية أو رثائية أو مدحية فضلاً عن أن الشاعر يقفُ فيها على الأطلال ويستذكر أماكن حبيبته وأيامها، وجمالها وكيف شغفت قلبه حباً وملأت

حياته سعادة وأمان، ثم بعد ذلك يبدأ الفراق والرحيل دون معرفة مكانها الجديد. فهو يبدأ الرحيل لكشف عن مكانها الجديد .

ومن هنا نجد أن الشاعر عبد الله الفرج كان يختار ألفاظه وتناسقها في معظم قصائده النبطية في ديوانه مما حدا بالكثير من الناس إلى حيثٍّ شعره هذا والاعتناء به، فهو خير معبر عن العواطف والأحاسيس والحبَّ والاتصال بالماضي الجميل بما فيه من جمال وشقاء وألم، ولذا يسعى الشاعر لإبراز أهم السمات الفنية لشعره من توظيف الألفاظ في القصيدة توضيفاً جمالياً، مع ذكره لمجموعة من أسماء النساء مما يؤكد أو يوحي لدينا أن الشاعر على علاقة أصيلة معهن مع غرابة أسماء هذه النساء والبيئة التي يعيش فيها أثناء ما كان في الهند وما فيها من لهو وعدم مبالاة في الصرف والتبذير(١٦).

وربما هذه الأسماء التي ذكرها الشاعر في معظم قصائده النبطية هي نفسها الأسماء التي وجدت في أغلب دواوينَ أو قصائده المفردة. مما يؤكد لنا أن الشاعر كان ذا علاقة وثيقة بالشعر القديم وقصائده وبخاصة شعر الغزل فإنه يُعدُّ السمة المميزة لشعر عبد الله الفرج معتمداً بذلك على أحسه المرهف في توظيف الألفاظ والحفاظ على معانيها وترابطها في البيت الشعري(١٧).

فهو في شعره النبطي يعبر قدر الإمكان عن ماضيه السعيد الذي عاشه في زمن الثراء وكثرة المال مصوراً فيه جمال المرأة وحسنها، فهو لا يسمي أمراه بعينها وانما يعطي إشارات فيها من الغموض الشيء الكثير، على عكس شعره التقليدي فأنه يشير وبخاصة في مطلع قصائد الغزلية إلى بعض أسماء النساء الشهيرات في قصائد الغزل من أمثال (رباب، وزينب، وهيفاء، ومها) وهو في مقاطع أخرى من القصائد الغزلية يسعى بعض الشيء إلى تنكير هذه الأسماء خشية افتضاح أمره. وهو في شعره النبطي هذا قد يكون معادلاً موضوعياً لإنكار ذاته وتصوير عواطفه إزاء جوانب الحياة القاسية، وقد تكون هذه المقدمات الغزلية رداً على الانتكاسة التي تعرض لها نتيجة الظروف المادية القاسية بعد أن فقده امواله مما حدا به إلى الرجوع الى الكويت والاستقرار فيها ليمارس حياة الفقر والعوز والحرمان(١٨).

لذا نجد أن حياته في الهند كانت لها مميزات كبيرة نتيجة المال الوفير الذي تركه لهُ والده، كانت تختلف عن حياته في الكويت وتعاستها مما كان لهُ الأثر السيئ على سلوكه وحياته اليومية وكذلك أشعاره التي أخذت طابع الحزن والخوف من القادم. فهو في أحدى مقاطع قصائد ديوانه يصور لنا هذه الأمور مجتمعة إذْ يقول(١٩).

ياذا الحمام اللي علـى رأس ميـــاح	يا اللي على روس الشواهيج ناحي
زدت العنا الورقة وأبكيت مـــرتاح	وأيقظـــت في نوحك عذول ولاحي
مه لا بليت بصـــد ولف ولا فـــاح	مرجل غـرامك من شبوب التلاجي
أن كان يا الورق المشقّى بالاصداح	ذا النوح طرب به وقصدك مناحي
ومر نحك تلوى مسابيح الأفـــراح	فلا ذكـــرت بخير ميت ولا حـي
وأن كان تشكي قلة الصبر للصاح	وتلوب مـن فرقي حبيب معاً حـي

بعد أن قرأنا هذا المقطع من هذه القصيدة النبطية للشاعر عبد الله الفرج، نجد أنه قد سار على نهج الشعراء القدماء في اتخاذ بعض الحيوانات الأليفية صديقاً لهم يشكون لها همومهم، كذلك فعل عبد الله الفرج في الأخذ من الحمام ذلك الطائر الجميل والأليف صديقاً يشكو أليه همومه وعلى نهج شعراء الغزل العذري، الذين يتطرقون في معظم أشعارهم إلى معانٍ عدة منها الهجر والحرمان، مصورين في ذلك ما يجدونه من ذلك الحب من حرمان وعذاب وهجر، مصوراً هديل الحمام بأنه يشبه حد ما الألم والحسرة والضيق على فقدّ صديق أو حبيب، ويراه في أحيان أخرى بكاء على فراق أحبته، وهو يطلب منه الكف عن البكاء، موجهاً له سؤالاً هل أن هذا الهديل والبكاء استنكاراً وضيق، أم يريد أن يؤجج العواطف ويثير الذكريات الأليمة في نفس صديقه حينما يشكو لهً ذلك الحال وضعف تحمل الفراق تجاه أحبابه وهل هذا خيرا يريدهُ لهُ أم شرا يبعدهُ عنه. فإنه في نهاية المطاف يدعو الله لهُ بالصبر والقوة على تحمل عذاب الفقدَّ والحرمان .

ويسترسل عبد الله الفرج في سرد قصته مع هذا الطائر في حواره معه متخذاً منه رمزاً يعبر به عن نفسه وألمه وحالة الفقد والحرمان التي يعيشها وضيقة العيش، فيدعو الطائر إلى

التحلي بالصبر على ما مر به من أمور جعلته حزيناً، ويجد فيه الملاذ الوحيد الذي يأوي أليه ليروي لهُ وضعه المزري. ثم يعود يذكر الحب وما يعمل بالمرء من شجون حينما يأسر القلوب، فلا يجد مناصاً من ذلك ولا جدوى من الهرب من هذا الواقع الذي يعيشه، فهو يصور ذلك بمقطوعه مؤثرة من شعره النبطي إذ يقول: -(٢٠)

أصبر على ما حل والصبر مفتاح — يا الـــورق ببـــيان الفرج والنجاح
وألا الهوى ما لوم أنا فيه من طاح — من شرب كاس الحب ما هو بصاحي
هذا وكم بالحب من عاشــق ساح — مثــلي ومثلك ومـــن جميع النواحي
يا ما على الخلان ناوحت الارياح — وبديت ما يبدي هـــــزار الضواحي
ويا ما هطل دمع النظيرين سفاح — واعتل من صفق المحـــاجر جناحي
واريت في قلب كما وصف ملواح — ظام وتـــومي به كفـــوف التلاحي
لولا غرامه طرني طـــرة الحاح — ما نحـــتْ فين ليلي وهمت بصباحي

هنا الشاعر يصور حبه مع لحبيبته الذي ضاع نتيجته ولم يعد يقوى على فعل شيء ما، ولم يذكر لنا اسمها أو يصرح به، وما سببت له من ضيق وألم وحرمان سعت في ضياعه وحرمانه، ولكننا حينما نقرأ هذه الأبيات نجد أنها تحمل وصفاً عادياً ليس فيه قوة تطلق على أية فتاة في هذا الكون. لكنه في أبيات أخرى صور فيها فتاته بأنها قاتلته ومعذبته وقد بعثت فيه الألم والعذاب مما جعل حياته قاسية جداً إذ يقول:- (٢١)

والله ما أنســى اليوم يا عاذل صاح — عصر قضيت به الطرب بالشواحي
وأنسى هوى طفل من البيض مزاح — من راق به ختــمي وبعد أفتتاحي
ما زلـــت في حسنه غريم ومداح — ما قيل بالترحـــــيب أهــلاً وياحي

فهو هنا لا يستطيع أن ينسى حبيبته والأيام الجميلة التي قضاها معها، ويصفها بأنها كالطفلة البريئة ذات القوام الجميل وفيها من الدعابة والمراحه ما يجعله متمسكاً بها وأسير جمالها ولا يقوى على فراقها، ولكنها تبقى مجهولة الاسم والعنوان ما يجعلنا حائرين أزاءها لا نعرف من هي؟ وهذه سمة في شعره أنه لا يصرح باسم من يحب ويبقيه مجهولاً.فهو على

الرغم من ظروف الهجر والحرمان يبقى متمسكا بحبها مدافعاً عنها واصفاً لها بشتى أنواع الوصف وكأنها ملاكه الوحيد في هذا الكون .

ونلحظ من خلال قراءتنا لمعظم قصائده النبطية أنه يجعل من حبيبته رمزاً لما مر به من أحزان وألم وحرمان نتيجة فقده ثروته وفقره بعد ذلك ، ونراه بين الحين والآخر يذكر ماضيه ويعرج عليه، حينما يتذكر أيام الخير والعز التي مرّ بها مصوراً ذلك في مقطوعة من أحدى قصائده النبطية قائلاً:(٢٢)

لا شك ما يرجع علـــيك الذي راح أكـــــود يرجع يافع كل ماحي
أفضى الهوى سري على غير نصاح حتى حـكي به كل جلف سراحي
يوم الدهر عن زلتي يصــفح اصفاح والبين عن ربعي هل الغى ناحي
وأيام أنا في شـــــامخ ربـــه شنــاح يــومه يدق القـاع ضافي شلاحي

ولهُ في مقطوعة أخرى من أحدى قصائده أنه يضفي على حبيبته أسماء خاصة كان الشعراء القدماء يضفونها على حبيباتهم لكي تكون رمزاً لذلك الحب، ويذهب كذلك لوصف حبيبته بأوصاف تطلق على كل جميلة، بأنها الغزال في رشاقتها، وكالوردة في عطرها، وبأنها ذات قوام جميل، بيضاء جميلة الأطراف، إذْ يقول(٢٣).

أنشيت من فكري وهو يوم أن بدا غرابـها ما رام منشـيها الجـــدا
ألا غـــرام يا لتـي تاهــت على أسماء وزينب والرباب ومن غدا

وقد اعتنى الشاعر في معظم قصائده النبطية والتقليدية بالمقدمات الغزلية اعتناءاً كبيراً، متخذاً منها تسجيل عواطفه وأحاسيسه على شكل غزل وهي تتخذ عنده النمطية نفسها تكاد تكون في جميع قصائده. وهي تسير على نمطية الشعر القديم من وضع أسماء مثل (هيفاء، ومها، وسعاد) وبخاصة شعراء الغزل العذري الذين اشتهروا في ذلك الفن الشعري القديم. حيث أفاد شاعرنا عبد الله الفرج ذلك النمط الشعري إفادة كبيرة جعلته يتميز في ذلك المضمار الفني(٢٤).

لذا فقد صرح الشاعر بهذا النوع من الغزل في قصيدة طويلة ألم بها عاطفياً من حيث ذكر آثار الديار ورسومها الدارسة، مبيناً لوعته ومعاناته وتعب نفسيته نتيجة فقدان حبيبته التي تركته ورحلت دونما توديع، فكانت لهُ ذكريات وعواطف، مما كان لهُ الأثر على حالته النفسية والمعنوية، مما حدا به إلى تصوير هذه الصورة الكئيبة لهذه الذكريات والأماكن التي حلتْ بها، وكل هذه الأمور كان الشاعر القديم قد سلط الضوء عليها مسجلاً عواطفه وحزنه، فيصور لنا عبد الله الفرج هذا الموقف قائلاً :(٢٥)

على السفح للتسليم يا ركب عوجافي عسى بانحراف العيس لي مشفٍ أو شافي
دعـــونـي أوادع بالنفـــودين منزل حبيبـي ومعـــــهد يا ركب بدر الأنصاف
مغاني لهـــــند شطها البين والنوى وأصبـح ينـــوح البوم في رسمها الخافي
وقفت بحياها هل أرى في عراصها خبير بسكنى الـــدار، والمـــنزل الخافي
خلا ربعها من صرف الأيام وأقفرت وأمســـــت تحـاكي بالعـفا دار الاحقاف
دعتـــها الغـــوادي دارسه مثل رمة لحا لحومـــــها السرحان في شاطئ القاف
دهاها النوى يسعى على حين غفلة من النـــاس وأردى كل من بالوصل شافي

ويستطرد الشاعر وصف هذا الموقف من رحيل حبيبته وما خلف هذا الرحيل من الأسى والشجون والمعاناة وما يراه من الآثار البالية كالرماد ومكان الخيام حيث تعصره الحسرة وتبعثُ فيه الاشتياق لأيام الماضي الجميل إذْ يقول واصفاً ذلك:(٢٦)

لكني غداة البين يـوم أن ترحلوا جريح المواضي تألف من أنهض أطرافي
كئيب على ربع ولا قوم بالشـــفا وإلى قمت ما أقوى طحت منهم كما الحافي
وقفنا ونيران التجافي وداعـــــنا ودعـــت وقلبـي ينقـــسم منـــه أنصـــــاف
أكابد لواعيج جزت عيني الكرى وأجاهد بهيم الهم فـــي ســـود الاغـــداف

فهو في هذه الأبيات يكاد يكون قد بين لنا ما مرَّ به من فقر وحرمان وكيف أن أحبته وأصدقاءه قد تركوهُ بعد أن نفذت ثروته وأصبح لا يملك شيئاً . بحيث اتخذ من هذه المواقف رموزاً لدلالة على ما مرّ به من هذه الأمور. ومع هذا فإنه يسترجع ماضيه بين الحين والأخر

ولكن بصورة المقدمات الغزلية التي يبدأ بها معظم قصائده النبطية مزاوجاً بين هذه المقدمات وبين حالته النفسية التي مرَّ بها .

موضوعات شعره التقليدي :

لقد أهتم شاعرنا عبد الله الفرج بالشعر النبطي غاية الاهتمام ويكاد يكون أغلب شعره وهو بكثرة بحيث يطغى على شعره التقليدي. حيث استطاع أن يطوع كل مقومات الشعر القديم في أغلب قصائده النبطية كالمقدمة الغزلية والوقوف على الأطلال وذكر الحبيبة وأماكنها وذكرياته معها. ولكن بأسلوب جديد جعل منه مثار أعجاب المتلقي ويكاد يكون في معظمه، ومن هنا لا بدّ من الإشارة إلى شعره التقليدي الذي يعدُّ الحلقة الثانية في مسيرته الشعرية وهو قليل قياساً إلى شعره النبطي الذي يعد السمة المميزة لشاعريته . أو أن شعره التقليدي لم يجمع بصورة جيدة فضاع أغلبه .

لذا فإننا نجد أن معظم أشعاره التقليدية تدور في فلك أغراض الشعر القديم نفسها كالغزل والرثاء والمديح، فضلاً عن تسجيل الحوادث التي مرت بها الكويت بين الحين والأخر معتمداً على قابليته الشعرية المميزة وبأسلوب فني مستوعباً كل الموضوعات الشعرية التي كانت في متناول الشعراء القدماء ولكن بأسلوب حضاري جديد في مراعاة الألفاظ وتأثيرها العاطفي والنفسي[٢٧]. وفيما يلي أهم الأغراض الشعرية التقليدية التي تناولها الشاعر عبد الله الفرج في شعره وهي : –

(١) شعر الغزل :

لقد حفل الشعر النبطي لدى الشاعر عبد الله الفرج وفي أغلب قصائده بالمقدمات الغزلية التي تعد السمة المميزة لهذه القصائد وتكاد تطغى على معظم قصائده. مجانساً فيها شعره بشعر القدماء من حيث الوقوف على الأطلال وذكر الديار والأحبة والماضي الجميل وكما فعل إمرؤ القيس وكثير عزه وقيس أبن الملوح حين يتألم الشاعر من ذكر هذه الأيام، وهذا ما مرّ به شاعرنا عبد الله الفرج من ماضي جميل، وحاضر تعيس، فلذا نجد أن ما وصل ألينا من شعره الغزلي الفصيح يكاد يكون عبارة عن مقطوعات قصيرة، لا توحي بأنه عاش تجربة

حبًّ حقيقية، ولا تعطي ايحاءاً أو نغماً موسيقياً، ولكنها تبدو أوصافاً رتيبة على نمطيه الشعراء القدماء في وصف جمال المرأة ومحاسنها وهي وردت في معظم قصائد الغزل عند الشعراء العذرين أو الجاهلين بصورة عامة [١] فهو في أغلب مقطوعاته الغزلية يكثر من استخدام المحسنات اللفظية والبديعية كالجناس والكناية والاستعارة والتشبيه وغيرها حتى أفقدت معظم قصائده الغزلية عنصر العاطفة الذي هو السمة الأساسية في شعر الغزل إذْ يقول في أحدى قصائده:-[٢٨]

غزال ما الحـــريق بوجنتيه فحــرقها ولو سـكن الحريقا
عجبـــتُ لخـده نار وماء وذلك منه ما يطفــئ الحريقا
فلو لم يجر ماء الحسن منهُ بصحن الخــدِّ لم ينبت شقيقا
تود بأن تكون الشمس أختـا لهـُ والزبـــرقان أخا شقيقا
تَقَـــرط بالســـماك وبالثرايا تمنطق فاغتدي غصنا وريقا
أخال الدّرُ والشـهد المصفى ثنــايا منـــه فـــي فيـه وريقا

يتضح لنا ما يتقدم أن هذه الأبيات لا تعطي لنا تصورا عاماً عن عواطف الشاعر وأرهاصاته لأنها جاءت جامدة محاطة بقيود المحسنات البديعية التي وضعها الشاعر في ثنايا أبيات قصيدة وكأنها قالب جامد خالٍ من العواطف وكأنها مصطنعة وسهلة النظم .

وحينما نسترسل في قراءة القصيدة نجد أن الشاعر عبد الله الفرج قد أقحم نفسه في فلك هذه الأمور البلاغية دون قصد ولكن لإبراز هذه القصيدة كمحسن بديعي مصوراً فيه سلطان جمال المرأة في أسر قلب الرجل بعد معاناة طويلة إذ يقول في مقطوعه منها:[٢٩]

أخـــدّ مفـــوق السـهمين لما رمى عن قوس حاجبه الرقيق
وهل أصمت من الناس الرمايا لهُ إلا الشـقيق أو الرفـــيق

ومنه أيضاً:[٣٠]

يصـيدُ قلوبنا بفخاخ سـحر وليـس بمفلت منها وسـيقا
فكم أبصـرت حبا في هواه إلـى النيران تزجيه وسـيقا

رفيـــع دونـه الجوزاء تبدو لقد وافـى من الأملاك نيقا
يشـرد وصـله عني جهول فلو أهوى ركبت عليه نيقا

لقد استخدام هنا صفات المرأة الجميلة ووظفها في مقطوعته الشعرية إذْ صور حاجبيها وكأنها القوس يطلق سهامه على قلوب المحبين فتصيبها دون تفريق بين أحد منهم، لكنه قيدَّ هذه الأوصاف بالحس البلاغي الجامد، فأصبحت عاطفته معطلة الحس المرهف خالي من الرقة، وإلى هذا فقد ذهب في الأبيات الأخرى من القصيدة حيث وصف سحر المرأة وجاذبيتها وكأنه النار المحرقة التي تصيب من يقترب إليها ولكنه لم يعطِ هذه المقطوعة دفعة فنية وإحساساً مرهفاً بل قيدها بقيود البلاغة ومحسناتها حتى أصبحت وكأنها جامدة خالية من العواطف .

ومن هنا نجد أن الشاعر عبد الله الفرج قد امتلك حسا شعريا جيداً لكنه لم يستطيع توظيفه في شعره التقليدي وبالغزل خاصة على العكس من شعره النبطي فقد جاء أكثر عاطفية وشاعرية وأغزر عدداً على الرغم من أنه عاش تجربتين أحدهما سعيدة وهي بوجود ثروته، والثانية عندما فقدها وأصبح بائساً فقيراً يعاني الحرمان والبؤس. ومن ثم نجد أنه لم يستفد من تجربته الثانية التي لو أنه وظفها بالشكل الصحيح لا أصبح لديه كماً شعرياً هائلاً استطاع توظيفه في قصائده المتنوعة في الرثاء والغزل والمديح .

لذا فقد عزى أغلب الباحثين تفوقه في شعره النبطي على أنه كان يحفظ لعدد كبير من الشعراء في هذا المجال من الشعر مما اكسبه ملكة هائلة في هذا النوع من الشعر هذا من جانب والجانب الأخر أنه كان واسع الاطلاع على الأدب القديم مما يسمع لهُ في الكتابة بهذا اللون من الشعر وأن لغته كانت سليمة في هذا المجال. والسبب الأخر ربما أنه سار على نهج من سبقوه في هذا المجال من شعراء عصره وأنهم كانوا يكتبون في هذه الأغراض مثل الغزل والرثاء والمديح لذا نجده قد قيد نفسه في الكتابة بهذه المواضيع أسوة بهم. ومهما تكون الأسباب فإن الشاعر يبقى قيد نفسه وذهنه وخياله والطريقة المثلى التي تنقعه في إيصال منه الشعري إلى المتلقي.[٣١]

ومن ذلك نستطيع أن نقول أن شعره التقليدي كان من القلة والأسباب التي اوضحناها سابقاً، أي أن شعره النبطي من الكثرة بحيث وظف فيه معظم خياله الشعري وأغلب المقدمات الغزلية التي سار عليها الشعراء القدماء من الشعر التقليدي وكذلك استطاع أن يطور لغة الشعر النبطي بحيث يقربها من الفصحى ويبعدها عن العامية قدر المستطاع حتى أصبحت وكأنها قصائد فصيحة في لغتها ومعانيها المستخدمة إذْ يقول:(٣٢)

والـله والـله مـادريـت أن الهوى هكـذا يعـمل معـي
لما جـرت مـا وفـيت ذمام ذاك الأديـب اللوذعـي
ذي قد نظم في ودادك ألف بيت أبيات ما قد نظـمها الأصمعـي
نقضت عهدي وأنا عهدك رعيت ما كل ذي قد رعى عهـد رعي
تفهم ولكـن كنـى أن شـكيت اشْكيلك بالرمز أو بالدر سعي
أقسمت من طالـع السعد ارتقيت محـل مـا يرتقـيه الألمعـي

وهكذا فإننا نرى أن الشاعر عبد الله الفرج قد أثمر جهده في الشعر النبطي أفضل من شعره التقليدي وللأسباب الموجبة والتي ذكرناها سابقاً .

(١) شعر المديح :

بعد ما تطرقنا إلى شعره الغزلي وقلته نلاحظ الشيء نفسه في شعر المديح فقد جاء من القلة بماكان أيضا وهو عبارة عن مقطوعات متناثرة هنا وهناك جمعها الشاعر خالد الفرج ضمن ديوان الشاعر عبد الله الفرج وكانت في مدح شخصيات فيما يبدو كانت لهُ علاقة بهم أو قد تكون صله مودة بينه وبينهم ومن ذلك قال في مقطوعة شعرية لهُ يمدح أحد أشراف بني النقيب وهو السيد رجب النقيب أحد أشراف مدينة البصرة إذْ يقول فيها:-(٣٣)

سيغني الله عن فـرج القريب ويأتـي الله بالفـرج القريـب
ويشـملنا بفضـل منهُ حتـى يكون نصـيبنا أوفى نصيب
يقول لي أبـن ودي إذْ رأنـي أتوج بالثـنا هـام النسـيب

وأنظم جاهـــدا بالمــدح درا	يروق كلؤلؤ الثغـــر الشنيب
أبحت المدح حين عدلت عنه	أما منه حصلت على اللغوب
أتهـدي من بنات الفكـر ما قد	تقول بحسنها للشـــمس غيبي
إلى مـــن أنـــت زفا تجتليها	فقلتُ لهُ : إلـى رجـــب النقيب
إلى الكرم الخضم إلى المرحى	أن الحسب النجيب،إلى النسيب
إلى من في علاه يشيد سجعاً	لسـان الحمـــــد مثل العندليب
زكي طـــــاب أصـلاً ثم فرعا	فـــــكم وافى بطيب بعد طيب

ومن هنا يتضحُ لنا أن شعر المديح يعدَّ مجالاً ضيقاً يسبب للشاعر عجزاً في التعبير عن عواطفه الشخصية في حرية التعبير عن أفكاره بصورة تلقائية ويصبح ملزما أن يغدق على ممدوحة هذه الصفات وأنه يتكلم بلسان صاحبه ويقول فيه بعض الصفات التي ترتضيه ناهيك عن تملقه في بعض الأحيان للتقرب إليه. ولذا نجد أن العاطفة مفقودة على العكس من شعر الغزل الذي يصب فيه الشاعر كل عواطفه الشخصية وبأسلوب غاية في الوصف والروعة. وقد يصاحب كذلك شعر المديح رص للألفاظ وبعض الفتور العاطفي وضعف الأسلوب الفني وأبتذال الأفكار التي تدور فكرته حول الكلام الزائد للمدوح. وهذا ما فعله شاعرنا عبد الله الفرج في مدح رجب النقيب وكما مرَّ بنا علما أن النقيب كان رجل دين وليس رجل دنيا أي أن الفرج كان الأحرى به مدحه دينياً وليس كرماً.

لذا كان لزاما على عبد الله الفرج أن يكون أكثر تعبيراً عن حقيقة ممدوحة، ومن ذلك نجده في مقطوعة أخرى أنه راح يقرظ فيها الكتب عن هذه القصيدة ضعفاً واضحاً، فهو يقول في تقريظ كتاب ((الآيات البينات)) للسيد عبد الوهاب بن السيد أحمد الموسوي النقشبندي، وقد نظمها على أنها تحمل في كل شطر منها تاريخ تأليف هذا الكتاب وهو سنه ١٣٠٧هـ ، إذْ يقول واصفاً ذلك بقوله:(٣٤)

حتى الكتاب بمشفيات	أي تجلت بيـــــنات
آيات صدق أرســمت	تأوى لحل المشكلات

ونصوصهن تحبرت أبداً تريح معنعنات
هن الشموس بضوئها حزمت بآيات الإ ياه

وأضح من قول الشاعر أن الكتاب ألف في سنه (١٣٠٧هـ) وأنه قد يفيد الفكر الديني في ذلك الوقت والأمور التي فيه لا تشغل بال الشاعر وإنما مجرد مدح لهذه الشخصية

(٢) شعر الرثاء:

يعد شعر الرثاء الرديف الأساس لشعر المديح الذي تتجمع فيه جلّ عواطف الشاعر وإنسانيته التي تصور ألمه وصدقه عواطفه، لذا تعطي هذه العواطف قيمة فنية للقصيدة أو المرثية، ولذا نجد أن شاعرنا عبد الله الفرج كان مقلاً في شعر الرثاء فقد كانت له قصيدتان الأولى في رثاء علي بن محمد آل إبراهيم وهي من الطول والثانية تكاد تكون أربعة أبيات في رثاء خالد العدساني وهو بذلك لم يكن على مستوى في هذا الفن الشعري ولكنُّه حاول قدر الإمكان التخلص من النمطية القديمة في المراثي كالوقوف على الأطلال والرسوم الباليه ومحاكاتها[٣٥] فهو يقول في أحدى مراثيه متخلصاً من هذه الأمور:[٣٦]

نحنُ بنو الموتى نعد فما لنا عند المصاب يروعنا المفقودُ
سيقودنا ما قاده ويضمنا ما ضمهُ ويعمنا التلحيدُ
ما نحنُ فيها بين غارات الورى إلا فرائس والمنون أسودٌ
فتصيد أنفسنا برغم أنوفنا إنه المنية للنفوس تصيدُ

حاول الشاعر في هذا المقطع أن يجد لهُ فلسفة في الموت اختلطت فيها المعارف الدينية بالمعارف العقلية بعيداً عن أمور الطلل والديار أو المواقع الدارسة، فهو جمع بين حقيقة الموت التي لا يستطيع المرء الفرار منهُ وبين كون الموت نهاية بشعة ومخيفة لكل إنسان لذا يجد من هذه الفلسفة أن الموت عبارة عن حيوان متوحش يعيش على دماء بني البشر ولكنهَّ بعد ذلك يرجع ويقول وحسب الشريعة الإسلامية أن الموت هو نهاية الحياة وبعد ذلك يعدل عن رأيه فيراهُ عبارة عن رجعة النفوس إلى خلقها الأول وهو مقصد أسلامي عنده من

خلال وصف الحياة الأخرى والعيش فيها، موثقاً ذلك في هذا البيت الشعري الذي يقول فيه:[٣٧]:-

تمضي الحياة وكل شيء هالك إلا الإله الواحد المعبود

ولهُ أيضاً كما أسلفنا في كلامنا عن مراثيه مقطوعة شعرية في أربعة أبيات يرثى فيها صديقة خالد العدساني قائلاً[٣٨]:-

أراع الخطب بدأ في الوجود وقوعاً كوقع مواضى الحدود
وكيف وقد ضرمتْ في البلاد مصائبه النار ذات الوقودِ
على مثل خالد فلبيك منه يحن عليه حنين الرعودِ
وقد قلت لما مضى أرخو دعته الجنان لأجل الخلودِ

ولهُ مرثية أخرى يسجل فيها رثائه لصاحبه يتكئ فيها على مكونات الشعر القديم في رثاء الأموات الذي عبر عنه القدماء بأنه مديح في صيغة الماضي في بكاء الديار والوقوف على الأطلال والرسوم الدارسة وتعظيم وتعزيه أهل المصاب في مصائبهم، إذْ يقول:[٣٩]

كادت منازله تموت لموته حزناً، وتدرس بعده وتميدُ
شالت نعامته بيوم كاد أن ينهد فيه الشامخ المعمودُ
أبني عَليَّ ما وجدنا صبركم ألا كصبر ما عليه مزيد
فالصبر أجدر أن يصاحب مثلكم كالعقل إذ هو عندكم معهودُ

يستعير الشاعر في مقطوعته مكونات الرثاء القديم الذي يعتمد على تهويل المصاب وزيادة شأنه ومكانته بين الناس وهو بذلك عبارة عن مدح الميت وبيان مناقبه في قومه أو عشيرته، وهي لا تدل في نفسها على حزن حقيقي بعينه وإنما مجرد وصف أو مدح للميت مبالغ فيه، أما في نهاية المقطوعة فإنه يلمحُ بأسلوب إسلامي وهو التحلي بالصبر مذكراً بالأمور الدينية في رد السوء والمكروه عن عائلة الميت ولقد توسعت لديه الصورة الدينية في شعره وخاصة كما قلنا أن شعر الرثاء هو عبارة عن مديح الميت، حيث مدح الشاعر عبد

الله الفرج الرسول محمد (ص) تدلنا على أنه ذو سمعة دينية كبيرة رد بها على المتعصبين من رجال الدين في عصره وهي قصيدة من الطول تتجاوز المائة بيت، ولهذا السبب فقد يفسر المرء هذا التوجه على أنه تقليد اتبع في الشعر العربي القديم، أو قد يكون سار على نهج أساتذته مثل الطباطبائي في اتجاه الدين وأنه قد تأثر به والسبب الثاني قد ينتج من وأعزه الديني وأيمانه الصحيح بالإسلام، أو قد يكون رد على رجال الدين المتعصبين في وقته، فهو يقول فيها(٤٠):

نبي زكـــي صـــــادق ومصـــدق	وفيّ صـــــفيَّ مستطاب مؤدب
ترفـــع من أصـــــل رفيع وعنصر	كـــــريم إليه الفخر يعزى وينسب
هو المفرد ألا كسير والجوهر الذي	بأسراره الأمثال والوصف يضرب
لقـــــد ســـــبقت فيه مشيئة ربه	وقد غلبـــت ، أن المشيئة تغلب
نبـــــي رأه الله ســـــرا لكـــــونه	وما هـو للأكـــــوان ألا المسبب
فكونه فـي الـلذر نـــورا مقـــدما	يواريه من نـــور حجاب مطنب
إلـــــى أن أبـــان الله إيجـــاد آدم	ومـــــا آدم ألا لخيـر الورى أب

لقد تحدث الشاعر هنا عن الرسول محمد (ص) وعن مشيئة الله في بعثه رسولاً لأمة الإسلام بعد الجاهلية المقيتة حيث وصف كل مخيلته في سرد هذا الحدث وبلغة صوفيه وفلسفية نقية من الشوائب، حيث تحدث عن جوهر الرسالة بمفردات صوفيه فهي الجوهر والمفرد والعلة والقدم، ولعلَّ ذلك يؤكد ان عبد الله الفرج كان يتمتع بثقافة دينية متخصصة بالدين والفلسفة، أكثر مما يكون تقليداً شعرياً متبع في نظم القصائد أو المرثيات، فهو يدلنا من خلال مقطوعة أخرى من القصيدة في وصف الدعوة الإسلامية ووصف معجزات الرسول الأعظم (ص) ووصف الصحابة وما قدموه من تضحيات أسست لتاريخ الإسلام الجديد، حيث جمع ذلك بلغة محكمة وفصيحة يقول فيها:(٤١)

وكم من معجزات قد بدت برضاعةً	يصـــدق بالآيات منها المكـذبُ
لقـد جـــــاء طفلاً بالمزايا ويافعاً	وألَّف نسكا في الجديدين يعجبُ

وحـــــالف أفـــديه عبادة ربـه ... وليـس بشـيء غيـرها كان يرغب
وظـــل بـها يسـمو تَقّـــى وترهُّباً ... فكـم فـي حـــراء بأن منـه الترهـبُ
فلـــــما نما الإسـلام وأعتز أهله ... غدت عـرقا منـه العـــدى تتصـــببُ
دعـــا والورى كالعمـى في جاهلية ... ومذهبـــهم فـــي الجهل لهو ومعلبُ
لقـــد نصـــرته أمـــة حنفـيـة ... لها مـــن التقى والدين في الله مشربُ
مهـــللة للـــه عـــزّ وجـــوهها ... بهـــا يعـــمر الإسـلام والكفر يخربُ
من القائمـــين اللـيل ذكراً لربهم ... إلى حيث ما يبدو ومن الصبح أشيب

الخاتمة ونتائج البحث :

يتميز الشاعر عبد الله الفرج بأنه من شعراء الكويت المؤسسين لحركة الشعر التقليدي التي يتزعمها الطباطبائي ، تهدف لتطوير هذا الشعر وتخليصه من النزعة القديمة التي كان يعتمدها الشعراء القدامى والخروج به عن النمطية والرتابة القديمة من مقدمات طلليّة والوقوف على الآثار البالية في موضوعات كالغزل والرثاء والمديح. ودراسة أسباب جنوحه لكتابة الشعر النبطي وولعه به مقارنة بشعره التقليدي والأسباب المؤدية لذلك التي منها دينية أو إنسانية في حياته اليومية، خصوصاً وأن حياته قد مرت بفترتين، فترة الترف والبذخ والحياة المترفة ، والثانية فترة الزهد والفقر ونبذ الحياة بكل أمورها الدنيوية ، ومن ذلك فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج هي : -

١- أن الشاعر عبد الله الفرج بعد فقده ثروته عاد للكويت، وبعد ذلك عاش حياة الفقر والعوز مما أثر ذلك على سلوكه الاجتماعي حيث أصابه الحزن والندم والزهد وقد ظهر ذلك كلّهُ في معظم أشعاره التي كانت تحمل النغم الحزين وطابع الفقر والذل، وبخاصة في شعره النبطي حيث كان المتنفس المهم لما يعانيه من ألم وفقر .

٢- تأثره بالموسيقى وبخاصة الموسيقى الهندية التي تعلمها على يد أساتذه مختصين بهذا النوع من الموسيقى والشغف بها أثر على موقف علماء الدين من عقيدته الدينية، فقد

شككوا في صحة دينه، مما كان لهُ الأثر في شعره النبطي الذي ذهب فيه لمهاجمة رجال الدين ودفاعه عن معتقده الديني .

٣- دربته وولوعه بالرسم والتصوير جعله يمتلك خيالاً واسعاً وخزيناً شعرياً كبيراً بمعانيه وموسيقاه وظفهُ في أغلب قصائده النبطية والتقليدية مما جعل منهُ شاعراً متميزاً في الأسلوب والأداء. أما مصادر ثقافته العربية ونمو شخصيته الأدبية جاءت عن طريق بعض المعلمين الخصوصيين في اللغة العربية وآدابها في الهند، فقد استطاع والدهُ أن يوفر لهُ هؤلاء ويتعلم منهم اللغة العربية وقواعدها والقراءة والكتابة بصورة أخص .

٤- نجد أن الشاعر عبد الله الفرج كان يختار ألفاظه وينسقها في معظم قصائده النبطية في ديوانه مما حدا بالكثير من الناس إلى حبَّ شعره والاعتناء به، فهو خير معبر عن العواطف والأحاسيس والحبَّ والاتصال بالماضي الجميل بما فيه من شقاء وألم من خلال توظيف الألفاظ في القصيدة توظيفاً جمالياً .

٥- يذكر الشاعر عبد الله الفرج في معظم قصائده النبطية بعض أسماء النساء التي وجدت في أغلب دواوين أو قصائد الشعر القديم، مما يؤكد لنا أن الشاعر كان ذو علاقة وثيقة بالشعر القديم ومصادره وبخاصة شعر الغزل فإنه يعدُّ السمة المميزة لشعره معتمداً بذلك على حسه المرهف في توظيف الألفاظ والحفاظ على معانيها وترابطها في البيت الشعري .

٦- سار على نهج الشعراء القدماء في اتخاذ بعض الحيوانات الأليفة صديقاً لهُ يشكو أليه همومه مثل الحمام ذلك الطائر الجميل مثل شعراء الغزل العذري الذين يتطرقون في معظم أشعارهم إلى معان عدة منها الهجر والحرمان مصورين في ذلك ما يجدونه من حب وحرمان وعذاب وهجر، فصوت هديل الحمام يشبه حدٍّ ما الألم والحسرة والضيق على فقد صديق أو حبيب، ويراه في ديار أخرى بأنه بكاء على فراق أحبته وهو يطلب منه الكف عن البكاء .

٧- نلاحظ سمة في شعره أنه لا يصرح باسم من يحب ويبقيه مجهولاً. فهو على الرغم من هذه الظروف، ظروف الهجر والحرمان، يبقى متمسكاً بحبها مدافعاً عنها واصفاً لها بشتى أنواع الوصف وكأنها ملاكه الوحيد في هذا الكون .

٨- اعتناء الشاعر في معظم قصائده النبطية والتقليدية بالمقدمات الغزلية اعتناءاً كبيراً متخذاً منها وسيلة فنية لتسجيل عواطفه وأحاسيسه على شكل غزلٍ، وهي تتخذ عنده النمطية ذاتها في جميع قصائده . فهي تسير على نمطيه الغزل العذري .

٩- استطاع أن يطوع كل مقومات الشعر القديم في أغلب قصائده النبطية كالمقدمة الغزلية والوقوف على الأطلال وذكر الحبيبة وأماكنها وذكرياته معها. ولكن بأسلوب جديد جعل منه مثار أعجاب المتلقي ويكاد يكون ذلك في معظمه .

١٠- نجد أن معظم أشعاره التقليدية تدور في فلك أغراض الشعر القديم نفسها كالغزل والرثاء والمديح، فضلاً عن تسجيل الحوادث التي مرت بها الكويت بين الحين والأخر معتمداً على قابليته الشعرية المتميزة وبأسلوب فني دقيقة مستوعباً كل الموضوعات الشعرية التي كانت في متناول الشعراء القدماء ولكن بأسلوب حضاري جديد في مراعاة الألفاظ وتأثيرها العاطفي والنفسي .

١١- امتلاكه للحس الشعري المرهف لكنه لم يستطيع توظيفه في شعره التقليدي وبالغزل خاصة على العكس من شعره النبطي فقد جاء أكثر عاطفية وشاعرية عدداً وكماً على الرغم من أنه عاش تجربتين أحدهما سعيدة والثانية مأساوية بائسة وفقيرة.

١٢- أن شعر المديح لديه عبارة عن مقطوعات شعرية في مدح بعض أسر آل النقيب وغيرهم ، ويعد مجالاً ضيقاً يسبب للشاعر عجزاً في التعبير عن عواطفه الشخصية في حرية التعبير عن أفكاره بصورة تلقائية ويصبح ملزماً أن يغدق على ممدوحه هذه الصفات وأنه يتكلم بلسان صاحبه يقول بعض الصفات التي ترضه ناهيك عن تملقه في بعض الأحيان للتقرب منه .

١٣- لقد كان الشاعر عبد الله الفرج مقلاً في شعر الرثاء وهو بذلك لم يكن على مستوى من الابداع في هذا الفن الشعري ولكَّنه حاول فيه قدر الإمكان التخلص من النمطية القديمة في المراثي كالوقوف على الإطلال والرسوم البالية ومحاكاتها .

١٤- أن للشاعر عبد الله الفرج فلسفة خاصة في وصف الموت فهو عنده عبارة عن حيوان متوحش يعيش على دماء بني البشر ولكنه بعد ذلك يرجع ويقول وحسب نزعته الإسلامية أن الموت نهاية الحياة وبعد ذلك يعدل عن رأيه فيراه عبارة عن رجعة النفوس التي خلقها الأول وهو مقصد أسلامي من خلال وصف الحياة الأخرى والعيش فيها .

الهوامش :

(١) ينظر:الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور (د. فوزية صالح الرومي) : ٨٨.

(٢) ينظر : مقدمة ديوان عبد الله الفرج النبطي : ٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق : ٤.

(٤) ينظر : الشعر العربي الحديث في منطقة الخليج (الرشيد بو شعير): ٢٣-٣٣.

(٥) ينظر : الحركة الشعرية في الخليج العربي : ١١٥ .

(٦) ينظر : مقدمة ديوان الشعر الكويتي (د. محمد حسن عبد الله): ٩-١٠ .

(٧) ينظر : أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد): ٥٤.

(٨) ينظر : الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية (د. عبد الله المبارك): ٢١٨.

(٩) ينظر: أيام الكويت (أحمد الشرباصي) : ١٣٥ .

(١٠) الديوان : ١٠٥ – ١٠٦ .

(١١) الديوان : ٩٤ .

(١٢) الديوان : ٨٢ .

(١٣) الديوان : ٩٨.

(١٤) الديوان : ١١٥ .

(١٥) ينظر : أدباء الكويت في قرنين (للأستاذ خالد سعود الزيد) :١٢٤.

(١٦) ينظر: الشعر الكويتي الحديث (د. إبراهيم عبد الرحمن محمد) : ٢١٣.

(١٧) ينظر : دراسات كويتية (د. فاضل خلف): ١٦٧.

(١٨) ينظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر (د.عبد القادر القط): ١٣٨.

(١٩) الديوان : ٣٦.

(٢٠) الديوان : ٤٩ .

(٢١) الديوان : ٣٧.

(٢٢) الديوان : ٧٢ .

(٢٣) الديوان : ٤٩ .

(٢٤) ينظر : لمحات من الخليج العربي (د.محمد جابر الأنصاري): ٩٨ .

(٢٥) الديوان : ٩٥.

(٢٦) الديوان : ٩٧ .

(٢٧) ينظر : معجم أدباء شعراء الكويت (يوسف سالم): ١٣٤.

(٢٨) ينظر : الشعر الكويتي الحديث (عواطف الصباح) : ٨٥.

(٢٩) الديوان : ١٥٧ .

(٣٠) الديوان :١٥٤.

(٣١) الديوان : ١٥٥ .

(٣٢) ينظر : خالد الفرج (حياته وآثاره) (خالد سعود الزيد): ١٧٣. وينظر : أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد) : ١٩٨ .

(٣٣) الديوان :١٢٢ . الديوان : ١٣٣ .

(٣٤) الديوان :١٥٧ .

(٣٥) ينظر : أيام العرب :١٣٥ .

(٣٦) الديوان : ٦٨ .

(٣٧) الديوان : ٧٢ .

(٣٨) الديوان :٤٢ .

(٣٩) الديوان : ٧٨.

(٤٠) الديوان : ٨٩ .

(٤١) الديوان : ٩٢ .

المصادر والمراجع :

١- أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد)، ط١، ١٩٧٤ م.

٢- ايام الكويت (د. احمد الشرباجي)، القاهرة، ١٩٧٨م.

٣- الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية (د.عبد الله المبارك)، القاهرة، ١٩٧٣ م.

٤- الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر (د. عبد القادر القط) ،ط٢، القاهرة،١٩٨٧م.

٥- تطور الشعر الكويتي الحديث (د. إبراهيم عبد الرحمن محمد)، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٢ م .

٦- الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور (د. نورية صالح الرومي) جامعة الكويت ، ١٩٧٤ م.

٧- خالد الفرج (حياته وآثاره)، (الأستاذ خالد سعود الزيد)، الكويت، ١٩٦٩م.

٨- دراسات كويتية (د. فاضل خلف)،ط١، الكويت، ١٩٦٨م .

٩- ديوان عبد الله الفرج، تقديم (خالد الفرج)، الكويت، ١٩١٩ م.

١٠-الشعر العربي في منطقة الخليج العربي (د. الرشيد بو شعير)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ١٩٩٧ م .

١١-الشعر الكويتي الحديث (عواطف الصباح)، جامعة الكويت، كلية الآداب والتربية، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣ م .

١٢-لمحات من الخليج العربي (د. محمد جابر الأنصاري)، ط٣، البحرين،١٩٧٤ م .

١٣-معجم أدباء وشعراء الكويت (يوسف السالم)، بغداد، ١٩٧٣ م .